ما بعد الحداثة: المفهوم والإطار (الجزء الأول)

تمهيد:

ادعت الحضارة الغربية أنها مركز العالم، وأنها صانعة التاريخ ورمز التحضر في كل المجالات وهذا ما جعلها تتعرض لحملة نقد قوية من طرف نقاد ما بعد الحداثة التي انتصرت للهامش وفضحت مزاعم الحضارة الغربية عن طريق إسماع صوت المهمشين في بقاع العالم.

- أولا: تفكيك المصطلح:

يتكون مصطلح "ما بعد الحداثة" (postmodernity) من مقطعين هما (post) "ما بعد" و (modernity) الحداثة، حيث تفيد البادئة post معنى "التجاوز تجاوز الماضي والسعي نحو المستقبل" (*). بمعنى أن "ما بعد الحداثة" تسعى إلى تجاوز الماضي الحداثي، وأفكاره المغلوطة عن بقية شعوب العالم.

- ثانيا: الفرق بين ما بعد الحداثة وما بعد الحداثية:

حدد الباحث "إيهاب حسن" الفرق بين "ما بعد الحداثة" (postmodernity) و"ما بعد الحداثية" (postmodernism) بقوله: "يكفي الآن القول ببساطة أن ما أعنيه postmodernism هو الإشارة إلى المجال الثقافي، ولا سيما الأدب، الفلسفة، وسائر الفنون بما في ذلك فن العمارة. بينما يشير مصطلح postmodernity إلى المخطط الجيوسياسي الذي برز في العقود الأخيرة، ويطلق على هذا الأخير في بعض الأحيان مصطلح "ما بعد الكولونيالية". إنه يؤكد على العولمة والتركز المحلي اللذين يقترنان بطرق منحرفة، ماحقه في أغلب الأحيان" (*). فالمقطع (ism) يلحق بالمصطلح للدلالة على المذهب الفكري في علاقته بالثقافة والأدب، أما (postmodernity) فيشير إلى الجانب السياسي ويعالج علاقة السياسة بالجغرافيا وبالمد الإمبريالي.

- ثالثا: مقولات ما بعد الحداثة:

- **نقد مقولات الفكر الحداثي:** مثل هيمنة سلطة العقل، إحلال النظام مكان اللانظام، وإحلال العلم مكان الخرافة.
- **تجاوز المركز والاهتمام بالأطراف والهوامش:** حيث ساعد الفكر ما بعد الحداثي على بروز الأقليات التي كانت هامشا للعالم الغربي الذي نصب نفسه مركزا للعالم.
- **رفض مقولة تفوق الجنس الأوروبي على باقي الأجناس الأخرى:** فما بعد الحداثة "تدمج العليا بالدنيا (ثقافيا) والأبيض بالملون (عرقيا) لتنتج خليطا إنسانيا يحمل مشعل التعدد المطلوب لغرض التعايش في عالم التفاوت المعاصر" (*).

- رابعا: نقض السرديات الكبرى:

ف "ما بعد الحداثة" ترفض أي نوع من التفسير الشامل: أي النظريات التي تدعي "امتلاك الحقيقة"، ف "فرانسوا ليوتار" يعرف ما بعد الحداثة بقوله: "باختصار شديد أعرف ما بعد الحداثة باعتبارها تشككا موجها إلى الادعاءات الكبرى" (*). ويقصد بذلك التيارات الفكرية التي ادعت امتلاك الحقيقة.

كانت الماركسية إحدى الحكايات الكبرى التي سيطرت على الفكر الغربي عموما وعلى المجتمعات القومية خصوصا؛ لأنها وعدت الشعوب بتحقيق حلمهم في مدينة فاضلة تحتضن كل الفقراء والمهمشين في العالم.

- خامسا: النقد الموجه لما بعد الحداثة:

1. يرى بعض النقاد أن "ما بعد الحداثة" هي تجل واضح للنزعة الرأسمالية التي حولت المجتمع إلى مجتمع خاضع لمظاهر الاستهلاك والموضة، وهو مجتمع تسيطر عليه الشركات المتعددة الجنسيات التي تعتبر شكلا جديدا للاستعمار.

2. تنكر "ما بعد الحداثة" كل قيمة تتصل بالعقل وهي بذلك تغطي كل إيجابيات الحداثة، كما أنها تبالغ في نزعتها التشكيكية.

3. يعاب على نقاد "ما بعد الحداثة" نزعتهم التشاؤمية ومبالغتهم في السعي لتحقيق عالم تتحقق فيه قيم العدالة والمثالية.

- سادسا: إيجابيات ما بعد الحداثة:
  - أن هذا التيار الفكري هو صوت المهمشين في العالم.
  - تغييرها لخارطة العالم السياسي وزعزعة المركزية الغربية.
  - فضحت قيم الحداثة الغربية التي تسلم بفكرة قدرة الذات الغربية الفاعلة على صناعة التاريخ.
  - فضح الأنظمة الشمولية التي ادعت قدرتها على كشف الحقيقة.

مراجع المحاضرة:

- نك كاي: ما بعد الحداثية والفنون الأدائية، تر: نهاد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- سهيل نجم: ما بعد الحداثة (دراسة في التحولات الاجتماعية والثقافية في الغرب).
- كريستوف باتلر: ما بعد الحداثة (مقدمة قصيرة جدا)، تر: نيفين عبد الرؤوف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2016